Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنها قرية عبود الغاوي العائد من المهجر مدججاً بالمال وملاقياً زمن الانفتاح، ليقيم حلمه بمشروع سياحي. وفي هذه السيرورة يشرع الشيخ عباس (رجل الدين مرة أخرى) زيجات الغاوي، ويقلب الانفتاح حياة القرية عاليها سافلها، فتتنبأ مريم الملقبة بالزرقاء (زرقاء اليمامة) بالغواية التي لا تقاوم، مخيمةً على القرية، وبمطر من الأشياء الملونة والنفايات، وبسعار الناس وهم يتناهبونها، وكأنهم سكارى فقدوا البصائر والضمائر. بيد أن بسام يلوي عن أيام الزرقاء وعبود الغاوي، لائباً على الوعي والإرادة من أجل الطريق الصحيح. ووسط هذه القتامة المهلكة (لنتذكر انتحار فاروق ونجاة في المسرحية السابقة) يدع الكاتب في البعيد شمساً تشرق بعد انقشاع هذا الليل الطويل الطويل، كان يمكن للناس أن يبصروها لولا أنهم استعجلوا موت رائيتهم (الزرقاء).

6- هذه الوحشة والقتامة اللتان ترينان على (يوم من زماننا) و(ملحمة السراب)، ترينان أيضاً على المسرحيات الأخرى التي كتبها الكاتب بعد ما خرج من صمته عام 1989 بمسرحية (الاغتصاب). والأمر نفسه كان قد ختم به الكاتب شوطاً من مشروعه عام 1979 في مسرحية (رحلة حنظلة...) ليبدأ إثرها الصمت. ولعل التوقف عند هذه المسرحية ضروري هنا، لنتبين فعل الواقع وأسئلته في براثن رحلة الكاتب.

لقد أعلن حرفوش في بداية هذه المسرحية أن حنظلة هو شخصية المرحلة. وفي رحلة هذه الشخصية من عمله في بنك الازدهار والعمارة كعداد فراطة، إلى السجن، إلى البيت، إلى الطبيب والدرويش (رجل الدين) والمثقف الحكيم وجريدة الوطن وأخيراً: الحكومة، في هذه الرحلة يتضاعف انسحاق حنظلة وتعرية المرحلة وسطوة القمع والفساد وعموم الخراب من كل لون، وتتجلى ذروة ذلك في عيادة الطبيب إذ يحدث حرفوش عن الطب البيسكو إعلامي الذي أفلح في علاج بعض الأمراض المزمنة الوبائية التي كان البرء منها مستحيلاً، كالاكتئاب والإحباط الجنسي والشبق السياسي والانقسامات الطبقية وحالات القلق الوطني، وهذا التقدم (العلمي) لهذا الطب جعله واحداً من أهم أسس الاستقرار في المجتمعات المعاصرة.

ويضيف حرفوش إلى قول الطبيب: تدعيم الأنظمة القائمة. وفيما يشبه العراضة بين سؤال للطبيب وجواب للممرضة نرى الطب البسيكو إعلامي يحول المواطن حملاً وديعاً، ويجعله يتحمل القمع والفقر والفساد وأزمات السكن والنقل والتموين. ويضيف حرفوش: احتلال الطنب الكبرى والطنب الصغرى